صفحة : 165 - 174

P.D.F

2- أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني

Wjdan_fareeq@yahoo.com

أ.د. وجدان فريق عناد
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

Sattar aljaberi17@gmail.com

أ.د. ستار جبار الجابري
مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
جامعة بغداد

تاريخ الاستلام: 2021/1/22 تاريخ القبول: 2021/2/10

الملخص

إن للمرأة منزلة كبيرة في التاريخ بمختلف مراحله المتعارف عليها بين الباحثين، ومما لا خلاف عليه أن لها صورة ناصعة في نضال الشعوب في عالمنا العربي والتخلص من الاستعمار، ولكن للمرأة الفلسطينية خصوصية في هذا الإطار كونها لا تزال تناضل من أجل التحرر من احتلال تخوض ضده معركة غير متكافئة، في ظل غياب الدعم العربي والإقليمي والدولي، فضلاً عن معاناة يومية صعبة على كل الأصعدة.

كلمات مفتاحية : البناء الفكري، المرأة، فلسطين، استراتيجية، العدو الصهيوني

Abstract

Women have a great position and status in history in all its recognized stages among researchers, and it is not disputed that they have a bright image in the struggle of peoples in our Arab world and getting rid of colonialism, but Palestinian women have a specificity in this regard because they are still struggling for freedom from an occupation that they are fighting against. An

unequal battle, in the absence of Arab, regional and international support, as well as difficult daily suffering at all levels.

Key words: intellectual construction, women, Palestine, strategy, the Zionist

المقدمة :

لا يمكن مقارنة المرأة الفلسطينية بغيرها من النساء وليس من العدل والإنصاف أن تقارن بمثيلاتها عبر التاريخ، ليس لكونها تمتلك صفات جسمية أو عقلية متفوقة على غيرها من بنات جنسها، بل تفردها يأتي من كونها امرأة تعيش كل يومها بصعوبة بالغة تفتقر إلى كل مكونات الحياة البسيطة، ولعل في مقدمتها فقدان الأمن والأمان فحالة الحرب الدائمة مع عدو تاريخي يمتلك كل وسائل التفوق، والحالة النفسية الصعبة فهي تعلم منذ لحظات ولادة أبنائها أن مصيرهم السجون والاعتقال والبطالة أو الإعاقة تحت تأثير ماكنة الحرب الدائرة، وهي كزوجة تعلم قصر يد زوجها مع ارتفاع تكاليف الحياة، والأصعب توفير متطلبات العيش اليومية في بلد الحياة الاقتصادية مدمرة فيه والبطالة منتشرة.

عليها أن تقوم بتلك المسؤوليات جميعا، ولا سيما في ظل غياب الأب الذي يكون غيابه قسريا باستشهاده أو اعتقاله أو تعرضه للعجز والإعاقة بتأثير أسلحة العدو أو فقدان فرص العمل المحدودة. وهذا عبء ثقيل فهي المعيلة لتلك الأسرة بما تملكه من مؤهلات تؤهلها للعمل وفق امكانياتها، للحصول على أجر مهما كان بسيطاً. فضلا عن العزوف عن الزواج عند معظم البنات، فهن يشعرن بالمسؤولية إزاء أسرهن وقضية بلدهن. فبينهن الشهيدات والمعتقلات والمشاركات في المظاهرات والمواجهات ضد العدو الصهيوني.

باختصار، إن الظروف العامة التي تعيشها المرأة الفلسطينية وهي محاطة بكل أنواع الضغوط ، لم تجعل منها امرأة منكسرة يائسة ضعيفة محطمة باكية أمسها ويومها ومستقبلها، بل العكس، فهي المنار الذي حفظ فلسطين التاريخية في ذاكرة الأجيال، وغرست في نفوس أبنائها مبادئ الجهاد والتضحية، والأمل بالمستقبل وإن كان بعيداً فهو قادم بعودة الأرض والعودة إلى الديار، حريصة على أن يكون حديثها حاملا لبراعم التفاؤل وراسما صورة جميلة عن بلدها وقريتها ومدينتها وبيتها، فتحتفظ بذكريات مادية ومعنوية، يشعرها الأبناء بنبراتها وتقاسيم وجهها التي تعكس إصرارها على حفظ الهوية الوطنية الفلسطينية لمواجهة السياسة القمعية التي اتبعها العدو من أجل طمس الهوية الفلسطينية، فقد أدركت أهمية دورها بذلك لإدامة مسيرة النضال من خلال الذاكرة والتاريخ الشفوي والتعبير الفني كالغناء والتطريز والحياكة.

إن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن تساؤل رئيس، هو: كيف تمكنت المرأة الفلسطينية من القيام بكل تلك الأعباء والمسؤوليات الصعبة في ظل تلك الظروف القاهرة؟ والاجابة عن ذلك التساؤل ستقودنا إلى الوقوف على الركائز الفكرية التي كانت تستمد منها تلك المرأة مصادر قوتها.

وسيكون البحث مقسما على المحاور الآتية:

أولاً : لمحة عن الحياة العامة للمرأة الفلسطينية في فلسطين.

ثانياً : مرتكزات البناء الفكري للمرأة الفلسطينية.

ثالثاً : أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني.

أولاً :- لمحة عن الحياة العامة للمرأة الفلسطينية في فلسطين

انعكست ظروف الاحتلال الصهيوني سلبياً على حياة المرأة الفلسطينية، ففي أعقاب نكبة فلسطين في حرب العام 1948 ، تم تهجير وتشريد الملايين من النساء، فضلاً عن أن الإجراءات التي تتخذها القوات الإسرائيلية لها تأثيرها المباشر على الأمن الجسدي، والنفسي، والصحي، والتعليمي، والاقتصادي . وعلى الرغم من شح عدد المقاتلات الفلسطينيات، لكنهن يتلقين النصيب الأكبر من الأذى، فعلى سبيل المثال، عانت النساء من الخوف الشديد، وفقدان الأمن، ونوبات الغضب وغيرها من الاضطرابات، فخلال التاريخ الممتد للحروب من عام 1948 حتى اليوم، قامت القوات الإسرائيلية باستهداف وإذلال النساء الفلسطينيات ضاربة بعرض الحائط الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان[292].

لقد وثق تقرير المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان الذي صدر في 17 كانون الأول 2014 بعنوان «جرف الزهور» معاناة النساء الفلسطينيات خلال العدوان الصهيوني على قطاع غزة في 2014، وأشار التقرير إلى أن (489) امرأة رحن ضحية للعدوان الصهيوني عام 2014 أو ما يعرف بعملية (الجرف الصامد).

وأشار التقرير إلى أن ذلك العدوان خلف (11314) أنثى مشردة في مدارس الإيواء، وتعدّ تلك الممارسات انتهاكا للقانون الدولي الإنساني، ولاسيما اتفاقية جنيف لعام 1949، والبرتوكول الإضافي الملحق باتفاقية جنيف 1977، فالمادة (76) من البرتوكول الإضافي الأول ينص على أنه «يجب أن تكون النساء موضع احترام خاص». أما المادة (17) فتؤكد على ضرورة نقل النساء النفاس من المناطق المحاصرة. فبالرغم من هذه الاتفاقيات، فإن إسرائيل تضربها بعرض الحائط مرتكبة أفظع الانتهاكات ضد الفلسطينيين بشكل عام، والنساء بشكل خاص [293].

ومن أبرز الأمثلة خنساء فلسطين (أم نضال فرحات) السيدة مريم محمد يوسف محيسن (1949- 2013)، وهي داعية إسلامية، ومربية، ومجاهدة، وسياسية فلسطينية، ونائب في المجلس التشريعي عن كتلة التغيير والإصلاح، وقيادية في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، قدمت ثلاثة من أبنائها شهداء في فلسطين وهم كل من نضال ومحمد ورواد فرحات، وآوت قائد الجناح العسكري لحركة حماس (كتائب القسام) عماد عقل، وكان منزلها منطلقاً لعملياته الجهادية، واغتيل في منزلها بعد اشتباك مسلح مع جنود الاحتلال الصهيوني، وتعرض منزلها للقصف من قبل جيش الاحتلال أربع مرات.

ثانياً : مرتكزات البناء الفكري للمرأة الفلسطينية

إن المرأة الفلسطينية لم تكن لتتمكن من القيام بكل تلك المهمات الجسيمة والأعباء والمسؤوليات الصعبة، لولا توفر عدد من المرتكزات الفكرية التي كانت تستمد منها مصادر قوتها وتفردها بين مثيلاتها من النساء الأخريات، ومنها :

(1) الإيمان المطلق بقضيتها

كانت المرأة الفلسطينية ولا تزال تحتل موقعاً صلباً في المجتمع الفلسطيني، فهي تمارس نشاطها السياسي والاجتماعي إلى جنب الرجل، فهن حاضرات يمارسن دورهن كما أن الرجال يؤدون دورهم.

ومنذ بداية اللمحات الأولى للدعم الدولي لتأسيس دولة ووطن قومي لليهود في فلسطين ظهرت

(292)- موسى أبو مرزوق ، القضية الفلسطينية الواقع وآفاق المستقبل، مجلة المستقبل العربي، العدد 311، السنة السابعة والعشرون، كانون الثاني 2005، ص 112-97؛ معن بشور، تأثيرات هزيمة الخامس من حزيران /يونيو 1967 في الحركة القومية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 280 ، السنة الخامسة والعشرون، حزيران / يونيو 2002، ص 11- 21.

(293)- محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد 359، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني 2009، ص 57-54.

المقاومة الفلسطينة الرافضة لذلك المشروع، فقدمت صوراً رائعة مع بساطة الأدوات التي تملكها مقارنة مع العدو الصهيوني، فضلاً عن الدعم الدولي ولاسيما البريطاني لذلك الكيان الغاصب، أمام حالة التمزق وعدم التنسيق العربي، فقد أدى عجز الحكومات العربية عن تقديم أي مساعدة لفلسطين سوى الشعارات [294].

إن المرأة الفلسطينة كونها جزءا أساسا وفاعلا في مجتمعها، كانت بمختلف مستوياتها الفكرية والتعليمية تمتلك إيماناً مطلقاً بالقضية الفلسطينية، مؤمنة بعدالتها ومظلومية شعبها، فقد أدركت تلك المرأة أن آمال الفلسطينيين قد تبددت وهم ينتظرون الأمة العربية المبادرة لإنقاذهم من التشرد والعناية بسكان الأرض المحتلة، فلا أمل بالحكومات العربية التي علقت عليها الآمال [295].

فلم تجد إلا أن تكون الناقل الأمين للإيمان بالقضية الفلسطينية إلى الأجيال القادمة، فقد أدركت عن وعي أو بالفطرة أنها الحامي لتلك القضية والحارس عليها، وهي الوحيدة القادرة على القيام بتلك المهمة.

كانت النسوة الفلسطينيات في الطليعة دائما، بل يمكننا القول إن قيمة نشاط النساء في هذا المجال أكبر من قيمة نشاط الرجال فهن يتظاهرن في الشوارع، ويقفن أمام المدافع والدبابات وسلاحهن الهتاف بقبضاتهن. كل ذلك كان محفزا ومضاعفا لقوة الرجال ومقاومتهم، لأن الرجال عندما يشاهدون النساء وقد نزلن إلى الشوارع لمواجهة الدبابات يتضاعف عزمهم وإصرارهم على مواصلة النضال، فمنذ الانطلاقة الأولى للمقاومة الفلسطينية كان حضورهن فاعلاً في الجهود المبذولة، وفي زرع الحماسة في نفوس الفلسطينيين، وتهيئة الدعامة القوية لهم من خلال التعبئة الروحية والمعنوية [296].

لذلك كان لتلك المرأة القوية دور أكبر من دور الرجال لأن نشاطهن في المقاومة ودورهن الكبير في التربية، فضلاً عما يملكن من العواطف والأحاسيس التي يتصفن بها، وهي غير متوفرة عند الرجال ما أنتج قيمة معنوية أكبر وإنجاز أعمال مفيدة ونافعة لقضية بلدهن، دون انتظار مكافأة من أحد [297] .

(2) البعد الديني

إن البعد الديني يظهر جلياً بعد أن وصلت القضية الفلسطينة في جميع الاتجاهات إلى طريق مسدود ، فقد أدركت أن الفلسفات السياسية تنتج الهزيمة والاستسلام والمساومة، وأن النضال الفلسطيني وحتى وقت قريب كان مقترنا ببعدين سياسي وعسكري وبرؤية قومية، إلا أنه أصبح مقترنا ببعد عقائدي إسلامي، فأضافت الحركة الشعبية الفلسطينية إلى أبعادها السابقة هذا البعد العقائدي الإسلامي، فمُنح الفلسطينيون طاقة وثقة بالايديولوجية الإسلامية، فأحيا الإسلام قوة الثورة والغليان في الشعب الفلسطيني من جديد [298].

ولا بد أن هذا المنعطف في القضية الفلسطينية قد ترك أثره في المجتمع الفلسطيني، وزاد من الإيمان والثقة بقوة الإسلام وقدرته على إنقاذ القضية. وبما أن المرأة الفلسطينية المسلمة مؤمنة أن الإسلام يرفض الظلم وانتهاك الحرمات، ويعطي الجهاد والمجاهد فضلا ومكانة عالية في الدنيا والأخرة[299] ،

(294)- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، القضية الفلسطينية في أحاديث الإمام الخميني، ط4، طهران، 1426هـ، ص 242-241.

(295)- المرجع نفسه، ص 255 .

(296)- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مكانة المرأة في فكر الامام الخميني، طهران، 2003م، ص 223، ص 280

(297)- المرجع نفسه، ص 221- 222.

(298)- المرجع نفسه، ص 260-259.

(299)- محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، 1425هـ، ص 63- 67.

لذلك نجد المرأة الفلسطينية المؤمنة مدركة قيمة الجهاد وأنه السبيل لإنقاذ بلادها، وهي بهذا الإيمان تغلبت على غريزة الأمومة، فهي تغرس في نفوس الأبناء تلك القيمة العالية، لذلك نجد بين المتظاهرين من هم من فئات عمرية صغيرة، يقفون أمام الجنود الصهاينة بكل صلابة، فكانوا صورة حية لما زرعت فيهم تلك المرأة من مبادئ وقوة، فضلاً عن أننا نجدها محتسبة مفتخرة عند استشهادهم واعتقالهم، لأنها مؤمنة أن النضال ضد الصهيونية واجب شرعي وعقائدي، ولاسيما أن أكثر ما يخيف الصهاينة هو غلبة الصفة الإسلامية على المقاومة الفلسطينية [300].

إن النسوة الفلسطينيات جنديات مجهولات يتواجدن في جبهات الجهاد ومنهمكات فيه، منهن نتعلم الأخلاق الإسلامية وقوة الإيمان، فَهُنَّ اللاتي قد صنعت شعباً يتطلع إلى الشهادة. مثل هذا الشعب لا يعبأ إذا اشتدت المعاناة الاقتصادية، فهم ثابتون في أماكنهم لا يخشون القوة الصهيونية بكل قوتها العسكرية، كل ذلك كان لأن المرأة الفلسطينية مستعدة بعزم راسخ وإرادة حازمة لتحمل كل أنواع المعاناة، وتطلب الشهادة لكل من تحب، لأنها مؤمنة أن النصر سيكون موجود في نهاية الطريق ، وهي تعمل على غرس التعبئة الروحية والفكرية بين أبناء شعبها [301].

بل إنها سجلت سابقة خطيرة في مسار المقاومة عندما جاء تنفيذ العمليات الاستشهادية من قبل العنصر النسوي وجعل الوضع للصهاينة صعباً وشاقا، فكانت وفا إدريس البالغة من العمر (28) عاما، ونفذت في 28 كانون الثاني 2002م أول عملية استشهادية تقوم بها امرأة في يافا، وعندليب تاكافكا البالغة (20) سنة فجرت حزاما ناسفا فقتلت (6) اسرائليين، ثم قتلت امرأتان فلسطينيتان في عمليات استشهادية عدداً من الاسرائيليين، وتحولت صور أولئك النساء الأربع إلى بوسترات، ونظمت فيهن القصائد ، ولاشك أن أولئك النساء الاستشهاديات أحدثن تغييراً واضحاً في الثقافة الفلسطينية، كما ان تطور التفجيرات الاستشهادية من عملية تكتيكية فرعية إلى استراتيجية منظمة هو الاخر يعكس أهمية التغيير في منهج المقاومة، فقد أحدثت تلك العمليات الاستشهادية النسوية صدمة للصهيانة، لأن دخول المرأة في هذه الاتجاه يعني فقدان الأمن للعدو الصهيوني إلى حد كبير[302].

ويبدو بوضوح أن السبب وراء انخراط المرأة الفلسطينية في مسار العمليات الاستشهادية يأتي من الإحساس العالي بالمسؤولية ازاء قضيتها، فهي تعيش في وضع صعب من جميع النواحي، فضلا عن الشعور بأن الوضع القائم في الأراضي المحتلة أوجد حالة من اليأس والغضب، فكانت تلك العمليات آخر أساليب المقاومة الفلسطينية، وخيارا لا بديل منه على الرغم من الانتقادات والتبعات الباهضة الثمن، فالفلسطينيون فقدوا الأمل بالمجتمع الدولي وهم لا يملكون ما يخسرون، فجعلوا أنفسهم قنابل بشرية يسلبون الأمن من الصهيانة، والأخير هو هاجس أساس للكيان الصهيوني، فكان دخول المرأة كمنفذة للعمليات أمراً جلب انتباه العالم للقضية الفلسطينية [303] .

وقد عبرت عن هذا المعنى آيات الأخرس وهي امرأة استشهادية فلسطينية حين قالت : « إني أريد أن أحارب إسرائيل نيابة عن الجيوش العربية التي خلدت إلى النوم وتتفرج على حرب الفتيات الفلسطينيات ضد اسرائيل «[304] .

---

(300)- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، القضية الفلسطينية، ص 257.

(301)- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مكانة المرأة، ص 217-214.

(302)- ناصر بور حسن، العمليات الاستشهادية في فلسطين التاريخ ، الدوافع، النتائج، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران 3-2 يونيو /حزيران 2002، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، د.ت، ص 130-129.

(303)- المرجع نفسه، ص 131.

(304)- المرجع نفسه، ص 131-130.

(3) التراث

التراث هو خبرات متراكمة تنتقل من جيل إلى آخر، فنحن نتحدث عن قيمة معنوية لا تضاهيها قيمة، وعن أثر في المجتمع لا يمكن أن يقاس بالمعادلات الرياضية والأرقام الجبرية والرسوم الهندسية. فالتراث ذاكرة الأمم وهويتها، ولكي يكون المجتمع قادراً على النهوض فإنه يحتاج إلى أدوات وظروف ملائمة تشمل كل جوانبه، ليعطي ثماره في إنتاج أجيال تتحلى بالقدرات البناءة للوطن في كل الأصعدة، ولابد أن يكون التراث إحدى تلك الأدوات البالغة الأهمية. فلا بد من العودة إلى التراث ليكون ركيزة أساسا في عملية النهوض . فالتمسك به لا يعني العودة إلى الوراء، ولا يعني الابتعاد عن الإفادة من التطور العلمي في كل جوانبه [305].

إن مفهوم التراث الثقافي أكبر بكثير من الكتب التي تحويها أي مكتبة أو المقتنيات التي يعرضها أي متحف ، بل هو قضية أساسية من قضايا حقوق الإنسان، قضية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوعينا بذاتنا ووعينا بكرامتنا كبشر.

إن طبيعة الاحتلال الاستيطاني الإسرائيلي الذي وضع المجتمع الفلسطيني كافة في وضعية الصراع من أجل البقاء، وترسيخ الهوية الوطنية القومية دفع الشعب الفلسطيني للتشبث بالقيم والتقاليد والموروث الثقافي كأسلوب دفاعي عن الهوية والقومية فأستعمل ميكانيزم النكوص عبر التمسك بمنظومة العادات والتقاليد [306].

ومن هذا المنطلق فإن المرأة الفلسطينية أدركت بما تملك من وعي وفطرة العلاقة الجوهرية بين التراث والقضية الفلسطينية والدور المهم للتراث في الحفاظ على الهوية والتاريخ والإرث الثقافي لمجتمعها، لذلك فهي تبذل جهداً مضاعفاً في هذا الجانب للحفاظ على التراث الثقافي لإتاحته وتسهيل الاطلاع عليه.

فكانت المعارض والمشاركة في المهرجانات التراثية التي تقام خارج فلسطين إحدى الوسائل التي سعت من خلالها للمحافظة على تراثها ونقله للاجيال القادمة وتعريفه بين العالم. ولعل ابرز ما نجده في الجناح الفلسطيني لوحات وصور معلقة تعكس جوانب الحياة الفلسطينية في الماضي بما يعكس تاريخها، فضلا عن الحاضر الذي يصور معاناة هذا الشعب.

ولا بد أن تكون المرأة جزءا من تلك اللوحات والصور، فمن الصور امرأة فلسطينية جالسة أمام جرافة صهيونية لمنع تهديم بيتها، وأخرى تمثل امرأة جالسة خارج بيتها المطوق بالاسلاك الشائكة، ونساء حاملات للأعلام في القدس الشرقية، وغيرها [307] . إن تلك الصور دليل على أثرها الفعال في المجتمع الفلسطيني وأنها تبقى رمز الصمود والثبات.

(4) التحدي

من المعروف أن دولة الكيان الصهيوني منذ قيامها على أنقاض المجتمع الفلسطيني تستند في استراتيجيتها للسيطرة والإخضاع واصطفاء العنصر الأقوى، إلى مبدأ سياسة الإبادة الجماعية، وتتسلح

---

(305) – ينظر : عبد الله حميد العتابي، نبيلة عبد المنعم داود وإسهاماتها في التراث العلمي العربي، دار قنديل، بغداد ، ص 25– 27 ؛ وجدان فريق عناد ، أثر التراث على نهضة المجتمع، بغداد، 2018 ، ص 3–2.

(306) – أحمد جابر، المرأة الفلسطينية في مواجهة العنف والتمييز، مجلة المستقبل العربي، العدد 321، السنة الثامنة والعشرون، نوفمبر تشرين الثاني 2005، ص 131 .

(307)– داود رضائي جراتي، الجناح الفلسطيني في معرض طهران الدولي للكتاب، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران 3–2 يونيو /حزيران 2002، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، د.ت، ص 132.

بعنصرية من الطراز الديني، فالعنصرية الصهيونية استمدت قوتها من سيادة الدولة، إذ تتوافر لها كل أشكال التفوق ، ومن ضمنها الترسانة النووية [308] ، وهي لم تتخل عن عنفها وتفوقها العسكري، وتمتلك القدرة والتأثير الإعلامي مصورة نفسها الضحية، فهي متمكنة في قلب الحقائق والتضليل[309] .

لقد استطاعت الصهيونية تسخير كل المجتمعات في جميع أنحاء العالم لخدمة أغراضها بعد أن تمكنت من كسب العديد من المجتمعات العالمية إزاء المشروع الصهيوني. وتحقيقاً لهذه الأهداف ، فقد عملت على إحياء اللغة العبرية وجعلها اللغة الأساس في المدارس اليهودية، وعلى إبراز الوجود اليهودي في البلاد في كتب التاريخ وأنكرت أي حق للشعب الفلسطيني، وذلك استنادا إلى مرتكزاتها الفكرية النابعة من المرتكز الديني المستمد من العهد القديم والتلمود. إن التربية الإرهابية عند أتباع العهد القديم تتبع مما جاء في سفر العدد الذي يقوم على أن مواجهة أعدائهم تستلزم شرب دمهم وإبادتهم[310].

يستمد الفكر العسكري الصهيوني جذوره من العقيدة الصهيونية، فاستعمال القوة والقتل والإرهاب والعنف هو أساس هذه العقيدة، إذ يحاول الصهيانة أخذ التجارب من العهد القديم من أجل غرس روح العنف في نفوس الجنود الصهاينة. إن الإرهاب الفكري والتربوي هو جزء أساس لتطور الحياة الاجتماعية، ولا يبقى الكيان إلا به، فإن زال الإرهاب زال الكيان الصهيوني، أي إنه ضرورة داخلية غير مشروطة بعمل خارجي، فالدولة الصهيونية لا تقوم إلا إذا مارست بشكل متصل ومستمر إرهاباً متمادياً ضد الشعب الفلسطيني [311].

ومن أخطر ما جاء في الأيديولوجية اليهودية التلمودية الدعوة إلى هدم الأسرة والأخلاق والدين والدعوة إلى الإباحية، فكان ذلك إحدى سبل حكام صهيون لفرض السيطرة على العالم، فكان البرتوكول (13) ينص بوضوح على ذلك، فقد جاء فيه «سننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قذراً تغشى له النفوس ، ويساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية لنا، وسنستمر في الترويج لهذا الأدب وتشجيعه، حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمنا»[312].

فكان المال والإعلام القائم على الغش لتمرير مؤامراتهم، فالاستغلال الاقتصادي وجمع المال بشتى الأساليب مع تحريف الكلام والتلاعب بالنصوص أمورا معروفة عن اليهود، فقد جاء في البرتوكول الثامن» إننا سنحيط حكومتنا بجيش من الاقتصاديين، لذا فإن علم الاقتصاد السياسي هو العلم الرئيس الذي يهتم اليهود بتعليمه، وسنكون محوطين بجماعات كثيرة من أصحاب المصارف والتجار والأغنياء، ولاسيما أصحاب الملايين، لأن كل شيء سوف يحل بصورة جوهرية بالأرقام»[313].

وما من شك أن الفلسطينيين أضعف من دولة الصهاينة بكل الجوانب، لذلك فالشعب الفلسطيني

---

(308) – عادل حامد الجادر، المفاعلات ومراكز البحوث النووية والتسليح النووي في اسرائيل، بحث منشور في كتاب الكيان الصهيوني والتسلح النووي سلسلة دراسات فلسطينية 22، بغداد ، 1990، ص 94–85.

(309) – إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني – الامريكي ومخاطره على العالمين العربي والإسلامي، باحث للدراسات، بيروت، 2009، ص 326؛ ينظر : جون ج، ميرشايمر وستيفن م. والت، اللوبي الإسرائيلي وسياسة اميركا الخارجية، ترجمة انطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، د.ت، ص 303– 335.

(310) – المرجع نفسه، ص 349.

(311) – إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني – الامريكي، ص 343–342؛ ياكوف م. رابكن، استخدام القوة في التقاليد اليهودية وفي الممارسة الصهيونية، مجلة المستقبل العربي، العدد331، السنة التاسعة والعشرون، أيلول 2006، ص 155–148.

(312) – إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني – الامريكي، ص 349.

(313) – إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني – الامريكي ، ص 349؛ ينظر : كريم صبح، جماعات الضغط اليهودية التنظيم، الدور والتأثير في صنع القرار السياسي للولايات المتحدة الامريكية 1945– 1969، بغداد ، 2009، ج2، ص 239–165.

يعيش معاناة شديدة على الأرض [314]، فلم يكن من خيار لدى هذا الشعب أمام صمت الحكومات العربية والتخلي الدولي إلا المواجهة منفرداً والصمود والثبات بإمكانيات بسيطة.

أدركت المرأة الفلسطينية بوعيها الفكري أو فطرتها أنها الوحيدة القادرة على بث روح النضال واستمرار روح المقاومة، فقد كان التحدي قويا، وكان عليها أن تكون على قدر عال من الصلابة لتتحمل تلك المعاناة الصعبة والقاسية، فلم تكن تملك إلا روح التحدي للبقاء، فنقلتها إلى الأجيال القادمة التي نراها واضحة في نظرات عيون الفلسطينيين جميعاً وهم يقفون أمام الجيش الصهيوني، وفي صور الأدباء والفنانين الفلسطينيين الذين لا تخلو أشعارهم ولوحاتهم من عكس منبع القوة والتحدي في نفوسهم إلا من تلك المرأة.

ثالثاً: أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني

لا شك في أن حجم المعاناة الإنسانية التي مر بها الشعب الفلسطيني باحتلال وسرقة وطنهم واللجوء أثره الواضح عليهم، ولا سيما أن تلك المعاناة مستمرة دون حل في الأفق [315]، والجرائم التي تمارس ضدهم أقل ما يمكن وصفها بالبشاعة لأنها تحمل صفة جرائم الإبادة الجماعية [316] ، وهي مستمرة دون رادع لمرتبكيها، فقد نفذ الصهاينة جرائمهم من نافذة سياسية وفرتها الولايات المتحدة الامريكية كضمانة لاستمرار الجريمة والإفلات من العقاب [317].

في ظل تلك الظروف كانت الروح التي تتحلى بها المرأة الفلسطينية وما قدمته من مقاومة وتضحية على مر العقود الماضية تثير الإعجاب والتقدير، فمواقف الأمهات والأخوات والزوجات والأرامل لا مثيل له، لأنه يحمل أثراً معنوياً وقيمة إنسانية يعجز البشر عن وصفها بكل ما كتبوا وعبَّروا.

إن الشعب الذي تتواجد فيه نساء كهؤلاء يقفن فيه إلى جانب الرجال، ويضحين بأطفالهن وبشبابهن ويقاومن بشجاعة هو شعب منتصر. فتلك المرأة تواصل حياتها في ظروف الحرب ولا تخشى الموت، وتمثل الحافز المنشط لرفع المعنويات بين الرجال. بفضل تلك المرأة سجلت المقاومة الفلسطينية أروع ملاحم البطولة والشهامة في تاريخ فلسطين ونضالها المستمر، فقد علَّمنَّ العالم دروس التضحية والإيثار، وأحقية قضيتها، ولا تزال على أهبة الاستعداد للتضحية دائما.

فأثر تلك المرأة يمثل الباب الفولاذي الذي يمنع العدو الصهيوني من تنفيذ استراتيجية الإبادة للشعب الفلسطيني، لأنها مصدر ومنبع المقاومة الحقيقي. وهي تدرك تلك الحقيقة بوعيها الفكري أو بفطرتها أنها تتحمل مسؤولية أخطر من مسؤولية الرجل، لأنه يقع على عاتقها تربية الجيل تربية وطنية، فهي تمتلك العصا السحرية في التأثير على أبنائها، لأن ما يسمعه الطفل من أمه ينغرس في تكوينه ويلازمه طوال حياته، فهذا الجيل الصاعد هو من سيقود النضال لإنقاذ شعبه.

فبفضل ما زرعته تلك المرأة في عقول وروح الجيل الصاعد، فشل الصهاينة في إضعاف المقاومة على الرغم مما ألحق به من قتل جماعي وخراب ودمار[318]، لأنها أدركت أن استراتيجية العدو هي

---

(314) – إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني – الامريكي، ص 388 .

(315) – عزمي بشارة، بمناسبة الذكرى الستين للنكبة في البحث عن معنى للنكبة، مجلة المستقبل العربي، العدد 352، السنة الحادية والثلاثون، حزيران 2008، ص 7.

(316) – ساري حنفي، التطهير المكاني محاولة جديدة لفهم استراتيجيات المشروع الكولونيالي الإسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، العدد 360، السنة الحادية والثلاثون، شباط 2009، ص 67– 84.

(317)– محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد 359، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني 2009، ص 66–51.

(318) – خير الدين حسيب، حول العدون الإسرائيلي على غزة مكاسب تكتيكية وفشل استراتيجي، مجلة المستقبل العربي، العدد 360، السنة الحادية والثلاثون، شباط 2009، ص 7.

اقتلاع المجتمع الفلسطيني من أرضه بإبادة تامة، فضلاً عن تحول القضية الفلسطينية إلى صناعة عالمية من الندوات والمؤتمرات والبحوث داخل الهوية اليهودية وفي العلاقات اليهودية – الغربية، ويلعب فيها الفلسطيني دوراً ثانوياً وغير أساس ، وهذه الصناعة باتت تستوعب نخباً عربية وفلسطينية كبيرة تعتاش على القضية، فالاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية ليس عنصر قوة بل عنصر ضعف لأنه يعكس اهتماماً بالمسألة اليهودية[319] .

لذلك حملت تلك المرأة جراح قضيتها لوحدها وهي ترى سماء العرب ملبدة بالغيوم وهناك الكثير من السخط والغضب، إلا أنها تتحلى بروح الأمل وتنبذ اليأس لأن ما لحق بشعبها لا بد أن يبقى جرس إنذار على الدوام مستنهضا كل الفلسطينيين للتحرر من الصهاينة واستعادة الحقوق [320] .

الخاتمة :

توصل البحث المعنون «**أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني** « إلى عدد من النتائج لعل من أبرزها:

إن المرأة الفلسطينية أعطت دليلاً عملياً عما تملكه من إمكانيات جسدية وعقلية تفوق المتعارف عليه في القدرات البشرية، ومع بساطة الأدوات التي تعمل بها، إلا أن العدو الصهيوني وقف عاجزاً طوال العقود الماضية أمامها، فهي مصدر إلهام ومنبع قوة لكل من حولها، إذ حملت ألم فراق الابن والأب والزوج، محتسبة مفتخرة، مؤمنة بقضيتها، واثقة من الانتصار في النهاية، مدركة أن الطريق طويل، ولا بد من حام أمين ينقل للأجيال القادمة حب فلسطين، والنضال من أجلها، فكانت هي ذلك الحامي والحارس لقضية شعبها.

إن القوة الجبارة التي تحملها تلك المرأة جاءت من مرتكزات فكرية هي الأساس ، فكان البعد الديني، والإيمان المطلق بعدالة قضيتها والتراث وروح التحدي، هي المساند التي اعتمدت عليها لنبذ روح اليأس عنها والتحلي بالأمل وإن كان بعيدا.

ولابد أن نعترف أن بقاء القضية الفلسطينية بعيداً عن النسيان حاضرة في الضمائر والحياة اليومية للمجتمع الفلسطيني يعود الفضل فيه للمرأة الفلسطينية التي لم تدخر جهداً من أجل تعريف الرأي العام العالمي بقضيتها وتسليط الأنظار إلى وجود ذلك الشعب الذي يعيش فاقداً حقوق الإنسان تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب المنشورة

1 – إيهاب علي شموري، المشروع الصهيوني – الامريكي ومخاطره على العالمين العربي والإسلامي، باحث للدراسات، بيروت، 2009.

2 – محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، 1425هـ.

3 – مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، القضية الفلسطينية في أحاديث الإمام الخميني، ط4، طهران، 1426هـ.

(319)– عزمي بشارة، بمناسبة الذكرى، ص 8–7 .

(320)– إبراهيم العيسوي، مأساة غزة العار ورد الاعتبار، مجلة المستقبل العربي، العدد 360، السنة الحادية والثلاثون، شباط 2009، ص 214.

4 – مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مكانة المرأة في فكر الامام الخميني، طهران، 2003م.

ثانياً : المقالات المنشورة

1 – إبراهيم العيسوي، مأساة غزة العار ورد الاعتبار، مجلة المستقبل العربي، العدد 360، السنة الحادية والثلاثون، شباط 2009.

2 – أحمد جابر، المرأة الفلسطينية في مواجهة العنف والتمييز، مجلة المستقبل العربي، العدد 321، السنة الثامنة والعشرون، نوفمبر تشرين الثاني 2005.

3 – خير الدين حسيب، حول العدوان الإسرائيلي على غزة مكاسب تكتيكية وفشل استراتيجي، مجلة المستقبل العربي، العدد 360 ، السنة الحادية والثلاثون، شباط 2009.

4 – داود رضائي جراتي، الجناح الفلسطيني في معرض طهران الدولي للكتاب، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران 3–2 يونيو /حزيران 2002، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، د.ت.

5 – ساري حنفي، التطهير المكاني محاولة جديدة لفهم استراتيجيات المشروع الكولونيالي الإسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، العدد 360، السنة الحادية والثلاثون، شباط 2009، محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد 359، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني 2009.

6 – عادل حامد الجادر، المفاعلات ومراكز البحوث النووية والتسليح النووي في اسرائيل، بحث منشور في كتاب الكيان الصهيوني والتسلح النووي سلسلة دراسات فلسطينية 22، بغداد ، 1990.

7 – عزمي بشارة، بمناسبة الذكرى الستين للنكبة في البحث عن معنى للنكبة، مجلة المستقبل العربي، العدد 352، السنة الحادية والثلاثون، حزيران 2008.

8 – محمد أبو الرب، محاكمة الإسرائيليين على حصار قطاع غزة، مجلة المستقبل العربي، العدد 359، السنة الحادية والثلاثون، كانون الثاني 2009.

9 – معن بشور، تأثيرات هزيمة الخامس من حزيران /يونيو 1967 في الحركة القومية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 280 ، السنة الخامسة والعشرون، حزيران / يونيو 2002.

10 – موسى أبو مرزوق ، القضية الفلسطينية الواقع وآفاق المستقبل، مجلة المستقبل العربي، العدد 311، السنة السابعة والعشرون، كانون الثاني 2005.

11 – ناصر بور حسن، العمليات الاستشهادية في فلسطين التاريخ ، الدوافع، النتائج، بحث منشور في كتاب مؤتمر الإمام الخميني ودعم القضية الفلسطينية الدولي طهران 3–2 يونيو /حزيران 2002.

12 – وجدان فريق عناد ، أثر التراث على نهضة المجتمع، بغداد، 2018 .